الخاتمة

تضمن هذا البحث التأكيد على قدر النبي ﷺ ومكانة سنته ، وكذا الحديث عن حقوق النبي ﷺ ، ومظاهر الجفاء التي ظهرت بين كثير من المسلمين وبين سنة نبيهم ، مبينًا دلائل المحبة الحقة .

ثم مقدمة اهتمت ببيان مفردات البحث لغة واصطلاحًا ، ثم الحديث عن دوافع البحث وصعوباته ، مبينًا المنهج البحثي المتبع ، مع تقييم جهود السابقين .

ثم جاء الحديث عن عصر الحافظ الذهبي ، وبيان أثر العوامل السياسية والاجتماعية والعلمية في التكوين العلمي له ، مع بيان نظرته لعصره ، ورؤيته للواقع العلمي في ذلك الوقت ، مشيرًا إلى مؤلفاته المتعددة ، وما انتحل عليه من مصنفات مع بيان زيف هذه النسبة ، مسلطًا الضوء على الانتقادات التي وجهت إليه ، مبينًا أن بعض هذه الانتقادات كان له أساس من الصحة ـ بينما غلب على البعض الهوى والتسرع .

ثم جاء الحديث عن ملامح المنهج النقدي عند الحافظ الذهبي ، ومن ذلك الإنصاف فكل يخطئ ويصيب ، ولا بد للناقد أن ينصف مع مخالفيه ، وأن يدرك أثر التنافس والعداوة بين الخصوم ، وألا يسرف الناقد في نقده .

ومن ذلك ما عرف عن الذهبي رحمه الله من المرونة والاعتدال ، والرغبة عن الإفراط والتفريط مع عدم التمسك المطلق بالظاهر ، أو التسليم المطلق لرواة الصحيحين ، وكذلك ظهرت مرونته في تعامله مع الصوفية .

ومن ذلك الاهتمام بالكتب الستة ، التي هي دواوين الإسلام ، ومظنة صحيح السنة بدءًا بالصحيحين ، واتباعًا لهما بالسنين ، فالكتب الستة أحد المعايير ، وواحدة القرائن التي قد تنضم إلى غيرها للحكم على الرواية بالضعف أو الدفاع عنها .

ومن ذلك نقده للمصنفات ومناقشته للحفاظ ، غير مستسلم للنصوص ، ولا متهيبًا لشهرة العلماء ، فمع تقدير جهود أولئك العلماء ، فلا بد للسان من عثرة ، وللقلم من زلة ، فالعالم يصيب ويخطئ ، ولكن على المجتهد الورع أن يصوب الخطأ دون أن يشهر بالمخطئ أو يحط من قدره .

ومن ذلك استقرائه للمصادر وتقييمه للعلوم ، فالمصنفات مفتاح التعرف على أصحابها ، والناقد الجهبذ من يوظف طاقاته للاستفادة من المصادر ومعرفة مذاهب أصحابها ، وهو ذو نظرة إلى طلب العلم ، فيرى منه ما هو فرض عين ، وما هو فرض كفاية ، ومنه المستحب والمباح والمكروه والحرام .

وكان للحافظ الذهبي من الآراء والقواعد ماوسمتها بالقواعد الذهبية التي تضيء الدرب ، وتوضح الطريق .

وتحدثت عن نشأة نقد المتن وجذوره القرآنية ، وجهود العلماء في القرون المختلفة وذكرت أمثلة لذلك .

ثم جاء الحديث عن بعض المباحث المهمة في نقد المتن ، ومن ذلك الطرق الاحتياطية لصيانة متن الحديث الشريف ، الرواية بين اللفظ والمعنى ، وكذلك مقاييس نقد متون السنة ، ونقد متن الحديث الشريف من حيث المبنى ، ثم نقده من حيث المعنى .

ثم جاء الحديث عن علاقة السند بالمتن عند الحافظ الذهبي ، والحكم على الراوى من قبل مروياته ، والفرق بين نقد المتن ونقد السند ، وأسباب نقد المتن من قبل السند ، ثم ضعف المتن مع صحة الإسناد ، وكذلك صحة المتن مع ضعف الإسناد ، نسبة المتون الضعيفة لأصحابها ، وبيان ما يقوم به بعض الوضاعين من إلصاق المتون الضعيفة بالثقات والأسانيد الصحيحة ، ثم جاء الحديث عن علاقة الراوي بالمتن .

وتحدثت عن نقد المتن عند الحافظ الذهبي من خلال دور الحافظ الذهبي في النقد الإيجابي للنص ، شرحًا واستنباطًا وتصويبًا لفهم أو دفع تعارض عن نص ، ودفاعًا عن متن صحيح ، وشرحًا لغريب لغة . وكذلك نقد الحافظ الذهبي للمتن نقدًا سلبيًا والقرائن الدالة على ضعف المتن ، ثم تحليل لبعض الأوهام في المتن وبيات كيف وقع الوهم ، وتوهيم الثقات في بعض المتون ، وكذلك مظاهر الوهم في متن الحديث الشريف ، والحديث عن درجات تضعيف الحديث .

وتحدثت عن القراءات الفقهية والتاريخية للنصوص ، مبينًا أثر هذين العلمين في نقد متن الحديث الشريف .

نتائج الدراسة

مع آخر صفحات ذلك البحث ، وفي خاتمة هذه الدراسة كانت النتائج التالية :

١- قامت كثير من الدراسات عن الحافظ الذهبي رحمه الله وانفردت هذه الرسالة بدراسة نقد المتن عنده ، بالإضافة إلى التوسع في دراسة شخصيته العلمية

٢- تأثر الحافظ الذهبي بعصره ، وكان للعوامل السياسية والاجتماعية والعلمية أثر كبير في تكوينه ، كما كان للحافظ الذهبي نظرة خاصة إلى عصره .

٣- انتُقِدَ الحافظ الذهبي رحمه الله ، وقد كان التحامل دافعًا لبعضها ، كما كان النقد الموضوعي سمة للأخرى .

٤- انتُحِلَت العديد من المصنفات على الحافظ الذهبي ، وقد بينت بالدليل القاطع بطلان نسبتها إليه .

٥- المنهج النقدي عند الحافظ الذهبي له ملامح ، منها الإنصاف ، والمرونة والاعتدال ، والاهتمام بالكتب الستة ، ونقد المصنفات ، ومناقشة الحفاظ ، واستقراء المصادر ، والقواعد الذهبية .

٦- لنقد المتن جذور قرآنية ، كما تتابعت جهود العلماء عبر القرون المختلفة في بنيان صرح نقد المتون .

٧- اهتم علماء نقد متن الحديث الشريف بصيانة متن الحديث ، ووضع ضوابط للرواية بالمعنى ، مع وضع مقاييس لنقد متون الأحاديث ، ووضع معايير لنقد المتون من حيث المبنى والمعنى .

٨- السند والمتن ليسا قرينين ، فقد يصح السند ويضعف المتن ، وقد يضعف السند مع صحة المتن .

٩- كثيرًا ما يلصق الوضاعون المتون الضعيفة والباطلة بأسانيد ناصعة ، وبالثقات من الأئمة وآل البيت بقصد ترويجها على عوام المحدثين ، ولكن نقاد الحديث كانوا لتلك المحاولات بالمرصاد .

١٠- قام الحافظ الذهبي بالنقد الإيجابي للمتن ؛ شرحًا واستنباطًا ، وتصويبًا لفهم أو دفع تعارض عن النصوص ، دفاعًا عن المتون الصحيحة ، وشرحًا لغريب اللغة .

١١- قدم الذهبي نقدًا سلبيًّا ، واهتم بالقرائن الدالة على ضعف المتن ، مع تحليل لبعض الأوهام وبيان كيف وقع الوهم .

١٢- للحافظ الذهبي قراءات تاريخية وفقهية كان لها أثرًا كبيرًا في دراسة متن الحديث الشريف .

١٣- قدم الحافظ الذهبي مظاهر الوهم في متن الحديث الشريف .

١٤- الثقات ليسوا بمعزل عن الوهم في متون الحديث الشريف .

١٥- كان القرن الثامن الهجري من القرون التي حفلت بكثير من العلماء الذين صرفوا الكثير من جهدهم في نقد متن الحديث الشريف .

obeikan.com